حسن كامل الصباح.. شهيد الشمس

(إنني أجتاز الآن مرحلة صعبة وخطرة، أسأل الله أن ينجيني منها، فادعوا لي لأن دعاءكم ورضاكم قد يخلصانني من أعداء ألداء يكيدون لي دائماً، ويسعون لزحزحتي من طريقهم)

حسن كامل الصباح 29 مارس 1935 في رسالة الى والديه

ارتفع البالون الورقي في الهواء في حي النبضية بلبنان من عام 1905 وسط تصفيق الأطفال والأسرة ووقف والد حسن وأمه يراقبان أبنهم صاحب العشر سنوات وهو يتابع

اختراعه ويشرح لأصحابه كيف جعل البالون يطير بالغاز بعد ان طار بالهواء الساخن وبدأ الأب حديثه قائلا

- لقد قرأ مجلة المقتطف 10 مرات يجب أن يجيد الفرنسية ليجد كتب علمية يقرأها

- الفرنسية فقط والالمانية والانجليزية والتركية يجب أن يتعلم بشكل جيد ويلتحق بالاعدادية السلطانية

- لقد اشتري له خاله عدد جديد من المقتطف وبعض الكتب سيكون سعيدا بها

- لن ينام قبل أن يقرأها لا تخبره الا بعد الغذاء وإلا لن يأكل

- سأناديه الان لنعود
ينـــادي الأب على أبنـــه حســـن الذي يحضر ويمازحه
- متى تصنع سفينة للفضاء
- لقد قرأت التجربـة في مجلـة المقتطف ووفر لي خالي أحمـد الأدوات والغـــاز أيضـــا صـــنعت بـــالون بـــالهواء الســـاخن وهـــذا بالغاز
- حسنا هيا للغذاء وهنـا مفاجـاة لك بعدها
الكلية السورية الانجيلية
جلس زملاء حســـــن بالكليـــــة الانجيلية حليم ويوسف وخـــوري مـــع مســـتر هـــوارد المـــدير وهم يرفضـــون عـــدم اكمـــال حســـن لدراســـته بســـبب المصـــاريف

واستعدادهم لدفعها له نظرا لتفوقه ونبوغه الاستثنائي وسعد المدير بأخلاق طلابه وحبهم لزميلهم واحترامه له وأعلن أن دراسة حسن كامل الصباح ستكون مجانية على أن يستمر في ابهارنا ونبوغه وفرحوا بذلك وهم يؤكدون له أنه سيكون صاحب مستقبل علمي متميزة ولكن هوارد أجاب باقتضاب

- للاسف المستقبل القريب ستكون حرب كبيرة وربما يتغير العالم للاسوا ولكن وجود زملاء مثلكم بهذه الأخلاق يسعدني

لم يرد احد ولكنهم أسرعوا ليخبروا حسن بالخبر السعيد

بعـــد أن كـــان حزينـــا لـــترك الدراسة

عام 1916

كـان حســن يعمــل على جهــاز التلغـراف خلال الحــرب عنــدما دخــل عليهــا الضــابط الالمــاني مبتسما ليخبره بترقيته الى رتبة ملازم أول بالاضـافة الى تعيينـه قائد مفرزة التلغراف ودار بينــه وبين حســن حـديث ودي باللغـة الالمانيــة الــتي أصــبح حســن يجيدها مع الفرنسية والانجليزية والتركيــة بشــكل أبهــر القــادة الالمــان ونصــحه بالســفر الى المانيــا بعــد الحــرب من أجــل العلم أو الى أمريكـــا من أجـــل المــال والاخــتراع ولكن هــدف

حسن كـان فرنسـا فسـافر الى دمشــق أولا ثم بــيروت للعمــل كمدرســــة وأكمـــال دراســــة الهندســــة ولكن المفـــــوض السامي الفرنسي دفعه للسـفر الى أمريكا فهناك الفرصة أكـبر للمــال والاخــتراع كمــا أخــبره الضباط الالمان من قبل

لقاء مع إدغار

وقف بـروان المهنـدس بشـركة الكتريك وزميل حسـن الحسـود ولكن عمومـا لم يكن الشـخص الوحيد الذي يحسده ولكن الأمر تجـــاوز الحســـد الى التـــدمير والايـذاء وفي هـذا اليـوم كـانت ينتظر شخصا ما بمقـر الشـركة والذي ما أن راه حتى رحب بــه

بشده ودعاه الى مكتبه والذي ما أن جلس حتى بدأ بالحديث الى بروان

- حسن شخص مذهل أنجز بمفرده 37 اختراع وسجلها في 11 دولة ولكن العدد الكلي حتى اليوم 76 اختراع كلها في مجال الكهرباء والطيران والتلفزة ومنها جهاز إلكتروني يمكن من سماع الصوت في الراديو والتليفزيون ورؤية صاحبه في آن واحد.
- أعرف أنه عبقري لقد حول شعاع الشمس الى كهربية ولكنه عربي مسلم

- العربي الوحيد الذي حاز لقب فتى العلم الكهربائي من معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين أنت نفسك تتمني الحصول عليه هذا اللقب أليس كذلك عزيزي براون
- أنه يتواصل مع ملك العراق فيصل الأول ليتم تجريب اختراعاته في صحراء الربع الخالي هل تعرف معني هذا؟
- ماذا يعنى ؟
- سيكون للعرب مصانع كهرباء سيصنعون مثلنا هل تفهم خطورة ذلك سيد ادغار
- لا تنطق اسمي ابدا في أي مكان

- اسف
- فهمت ما تريد ولكن حسن ليس خطرا حتى الان أنه شخص مفيد جدا لنا ولمشاريعنا واذا حصل عكس ذلك ساتدخل فورا نحن نراقب أنفاسه لا تقلق أيها الحسود

تقدم هنكل من حسن وهو جالس على مكتبه وأشار بمجله بيديه

- صديقي المذهل قرأت مقالتك عن المربع الوحيد وأيضا شعاع الشمس لقد ودعت فكرة سد الليطاني لانتاج الكهرباء

- كان ذلك 1921 ولكنها مجــرد فكرة لن تتحقق
- مشروع المربـع الوحيـد مـربح جدا للشـركة إنـارة المصـابيح الكهربائيــة المسلســلة بنــور ثــابت مهمــا تعـــددت ربحت الشـــركة منهـــا الملايين ولم تعطـك حقـك هـذا المشـروع وحــــده يجعلــــك مليونـــيرا.. لصوص قـذرة ولكن الشـمس أفضـل ملـك للجميـع ومجانيـة وصحراء العرب زاخرة بها
- صـــحيح ســـابدا في مراســـلة الملـك عبـد العزيـز بن سـعود من أجل مشروع الربع الخالي رحم اللـه الملـك فيصـل كـان

متحمسـا للمشـروع ولكنـه الأجل

- أنا لاأفهمك شـركتنا البغيضـة تسـرقك ولاتعطيـك حقـك في الاختراعات والمشـاريع الـتي يربحـون منهـا الملايين ومـع ذلك ترفض عرض "سـيمنس" الألمانيـة لمـاذا.. لـو حصـلت على عـرض مثلـه لـركلت شركتنا فورا بقدمي
- كلامـك صـحيح ولكنهم هنـا يوفرون لي كـل شـئ معـدات وأدوات ومعامل وانفذ تجاربي براحة كاملـة ولا أضـمن الأمـر مع الآخرين ولاتنسي ما حـدث في مشروع المقوم الزئبقي

- الملعـــون بـــراون أراد ســـرقة المشـــــروع ثم تـــــدميره ولكن المــدير ركلــه بقــوة وأعطــاك حقك
- هذا جميل اليس كذلك
- ولكنها أمريكا لقد سرقوها من الهنــود الحمــر وليســت بلادنــا الأصلية مثل بلادكم
- بلادنا الجميلة تستحق الأفضــل ولكن لا أجد يســـتمع لي ولكن على الاقل ساحاول

وأكمــل رســالة كــان يكتبهــا في يديه وتركــه هنكــل ولكنــه توجــه الى التليفون ولم يتحدث كثيرا

- يبـــدو أنـــه ســـيرحل قريبـــا الى بلاده العرب

- لقد دفع بالفعل ثمن طائرة ليسافر بها الى لبنان ولكنه لن يرحل اليها
- لا أفهم
- لايهم لقد قمت بوظيفتك على خير وجه لن تنسي لك أمريكا ذلك

نظر الطبيب الى جثة حسن كامل الصباح أمامه وتفحصها عدة مرات ثم نظر الى رجل شرطة بجواره وآخر يبدو من المخابرات

- هذا الرجل لم يقتل في حادث سيارة
- هذا ما ذكروه لنا حادث مروري وقعت السيارة في حفرة ما

- لايمكن أن يكون ذلك صحيحا
هنا تدخل الرجل الثاني
- لايهم نريـــد فقـــط التقريـــر
ولتنتهي هذه القضية الان

<u>أمام تمثال النبضية</u>

- ورق خفيـف - غـراء - شـمعة صـــغيرة أو قمـــاش لمشـــبع بـالزيت - خيـط - اصـنع هيكلًا ورقيًا مثـل مظلـة كبـيرة من الــورق الخفيـف تُشـكل جيبًـا للهـــواء. اشـــعل مصـــدرًا للحــرارة - ضــع شــمعة أو قطعـة قمـاش مشـتعلة تحت الفتحة دون أن تلامس الــورق مباشـــــرة - راقب الهــــواء السـاخن وهــو يصــعد داخــل البـــالون الهـــواء الســـاخن

داخل البالون يصـبح أخـف من الهـــواء المحيـــط، - فيبـــدأ البالون في الارتفاع ببطء بدل الهــواء الســاخن، يمكن ملء البـــالون بغـــاز خفيـــف مثـــل الهيليــوم الهيليــوم أخــف من الهواء

أمـام تمثـال حسـن كامـل بحي النبطية لبنـان كـان هـذا الرجـل يقص على طفل 12 سنة كيــف يصنع بالون والطفل يسـجل مــا يقول الرجل وما ان انتهى حتى شـــكره الطفـــل ولكن الرجـــل أكمل

- في عام 1905 كان هنا طفــل صـــنع بـــالون من الغـــاز أيضـــا وطار في سماء الحي

- سأصنع واحدا مثله وأريد أيضا صنع صاروخ وطائرة حقيقية
- إن شاء الله

التفت الطفـل الى والـده الـذي تقدمه منه وهو يسأله

- ماذا تكتب
- علمني هذا الرجل كيف اصـــنع بـــالون من الهـــواء الســـاخن والدخان
- أي رجل

التفت الطفـل فلم يجـد الرجـل الذي كان يحدثه ولكنه قال لأبيه

- أنه رجل يشبه هذا الرجل

وأشار الى تمثـال حسـن كامـل الصباح الواقف في حي النبطية وكأنه يقـول لنـا (إنـني أوقن أن

نهضـــتنا لن تـــأتي بخطبـــة، بـــل بمختـبر صـغير، وطفـل يجـرّب، ومعلّم لا يسخر من السؤال)

إلى خـالي الجليـل الشـيخ أحمد رضا

أكتب إليـك وأنـا جـالس قـرب النافـذة، وقـد وضـعتُ بجـانبي عـــــددًا جديـــــدًا من مجلـــــة المقتطـف، تلـك الـتي أخبرتـني عنهـــا في زيارتـــك الأخـــيرة. لا أخفيك يا خالي أنني كلما قرأتُ فيها، شعرتُ كأن نافـذةً أخـرى قـــد فُتحت في رأســـي، تطـــلّ على عـالمٍ لا نـراه في شـوارع النبطيـــة. قـــرأت اليـــوم عن الهواء، وكيف أن له وزنًا، وكيف أن الســـاخن منـــه يعلـــو فـــوق

البـارد، فظللت أفكـر: إذا كـان الهـواء يطيـع قـوانين، فلمـاذا لا نُطيعه نحن ونتعلّمهـا؟ حـاولتُ أن أصنع شيئًا يشـبه مـا قـرأت، جمعت ورقًـــا خفيفًـــا، وربطتـــه بخيـــط، وقـــرّبت تحتـــه نـــارًا صـغيرة، فــرأيت الــورق ينتفخ ويرتفـــع قليلًا، ثم يســـقط. لم ينجح الأمــر كمــا في الكتــاب، لكنه جعل قلبي يطير قبله. ادعُ لي يــا خــالي أن أفهم، فــالفهم عندي صار أحبّ من اللعب.

حسن كامل الصباح 1908

ما زلت أذكر قولك لي: «العلم بلا لســان عــربي أعــرج»، وقــد لازمتني هذه العبارة في غربـتي الصـغيرة هنـا. أدرس الكهربـاء

والرياضـيات، وأرى كيـف تُبـنى الأمم لا بـــــالخطب، بـــــل بالمعادلات الدقيقـة. يـا خـالي، يؤلمـــني أن أرى لغتنـــا غنيـــة بالبلاغــة، فقــيرة بــالمختبرات. أرى شــــبابًا أذكيــــاء، لكنهم لا يجـدون سـوى الحفـظ طريقًـا. بدأت أفهم أن مشـكلتنا ليســت في قلة العقـول، بـل في ضـيق الأفق الذي نضعها فيه.

ماذا لو صـارت الشـمس كتابًـا مفتوحًا نقرأ منه طاقة لا تنفــد؟ لست حالمًا يـا خـالي، أنـا أتعلم كيــف أحــوّل الحلم إلى أرقــام، وأخشى أن أتعلم هذا بعيـدًا عن أرضي.

حسن كامل الصباح 1916

وصــلتُ إلى أرضٍ تُقــاس فيهــا قيمــة الرجــل بمــاً يصــنع، لا بمــا يقــول. المعامــل هنــا لا تنــام، والعقول لا تخجل من السؤال.
يـــا خـــالي، إنهم يحـــترمون القانون العلمي كما نحترم نحن القـرآن الكـريم. لا أحـد يسـأل: من أنت؟ بـــل يســألون: مــاذا أضفت؟
أعمل ليلًا ونهارًا، وأشعر أحيانًـا أنـــني أركض أســـرع من ظلي. لـدي أفكـار عن تحويـل الضـوء إلى قــوة، وعن نقــل الكهربــاء بطـــرق أوفـــر، لكنـــني كلمـــا اقــتربت من النجــاح، تــذكرت: لمن ســـيكون هـــذا النجـــاح؟ أخاف أن أصير عالمًــا بلا وطن،

وأخاف أكثر أن يكون الوطن بلا علماء. علّمني يا خـالي: كيـف يجمـع المـرء بين الأمانـة للعلم، والوفاء للأمة؟

حسن كامل الصباح 1922

لـــو عـــاد بي الـــزمن، لاخـــترت الطريـــق نفســـه، رغم قســـوته. العلم ليس طريقًـــــا مفروشًـــــا بالتصفيق، بل بالوحدة.

إنـني أوقن أن نهضـتنا لن تـأتي بخطبـــة، بـــل بمختـــبر صـــغير، وطفل يجـرّب، ومعلّم لا يسـخر من الســـؤال. إن متّ قبـــل أن أرى ذلـك، فليكن عـزائي أنـني حاولت.

حســن كامــل الصــباح مــارس 1935

تمت